

تفسير ابن كثير

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ^ط وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ^ج إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

يقول تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي : بالمعجزات ، والحجج الباهرات ،
والدلائل القاطعات ، (وأنزلنا معهم الكتاب) وهو : النقل المصدق (والميزان) وهو :
العدل . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما . وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة
المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ، كما قال : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد
منه) [هود : 17] ، وقال : (فطرة الله التي فطر الناس عليها) [الروم : 30] ، وقال
: (والسماء رفعها ووضع الميزان) [الرحمن : 7] ؛ ولهذا قال في هذه الآية : (ليقوم
الناس بالقسط) أي : بالحق والعدل وهو : اتباع الرسل فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما
أمروا به ، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق ، كما قال : (وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا) [الأنعام : 115] أي : صدقا في الإخبار ، وعدلا في الأوامر

والنواهي . ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوءوا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسرر المصفوفات : (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) [الأعراف : 43] . وقوله : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي : وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وتبيان ودلائل ، فلما قامت الحجة على من خالف ، شرع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده . وقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن حسان بن عطية ، عن أبي المنيب الجرشي الشامي ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " بعثت بالسيوف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم " ولهذا قال تعالى : (فيه بأس شديد) يعني : السلاح كالسيوف ، والحراب ، والسنان ، والنصال ، والدروع ، ونحوها . (ومنافع للناس

(أي : في معاشهم كالسكة ، والفأس ، والقدوم ، والمنشار ، والإزميل ، والمجرفة ، والآلات التي يستعان بها في الحراثة ، والحياسة ، والطبخ ، والخبز ، وما لا قوام للناس بدونه ، وغير ذلك . قال علباء بن أحمد ، عن عكرمة ، أن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : السندان ، والكلبتان ، والميقعة ، يعني المطرقة . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم . وقوله : (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أي : من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسله ، (إن الله قوي عزيز) أي : هو قوي عزيز ، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس ، وإنما شرع الجهاد ليلو بعضكم ببعض .